مجلة القنطار للعلوم الانسانية والتطبيقة

سلسلة الآداب والدراسات اللغوية المعاصرة

الاغتراب الاجتماعي في الشِّعر النِّسوي في العصر الجاهلي

الباحث : عمر فتحي عودة الرفوع

تاريخ التقديم 2024/3/15، تاريخ القبول 2024/5/15 ، تاريخ النشر 2024/6/30

الملخص: تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن مظاهر الاغتراب الاجتماعي عند شاعرات العصر الجاهلي ، وبيان أهم مظاهر الاغتراب الاجتماعي التي وجدت عند تلك الشاعرات من خلال تحليل نماذج شعرية دالة على هذه المظاهر , وانعكس تأثير هذه الظاهرة على الألفاظ الشِّعرية في الشِّعر النِّسوي في العصر الجاهلي؛ حيث جاءت الألفاظ مليئة بالحزن والأسى ومعبرة عن مشاعر الاغتراب.

كلمات مفتاحية: الاغتراب الاجتماعي ، الشِّعر النِّسوي ، العصر الجاهلي

Social Alienation in Feminine Poetry of the Pre-Islamic Era

Researcher: Omar Fathi Odeh Al-rofou

Abstract: This study aims to explore the manifestations of social alienation among female poets of the pre-Islamic era and to identify the most prominent aspects of social alienation reflected in their poetry. By analyzing poetic samples indicative of this phenomenon, the study reveals how the impact of social alienation influenced the poetic language in feminine poetry during that era. The chosen vocabulary is characterized by an abundance of sorrow and grief, expressing deep feelings of alienation.

Keywords: **Social Alienation**, **Feminist Poetry**, **Pre-Islamic Era**.

1. المقدمة:

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين, ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد...

تُعد ظاهرة الاغتراب من أكثر الظواهر الإنسانية التي وجدت في الشِّعر العربي في مختلف عصوره, وهي متشعبة في كثير من جوانب الحياة, وهذا ما يؤدي إلى وجودها بكثرة عند أفراد المجتمع ومن ضمنهم فئة الشِّعراء.

وتعالج هذه الدراسة ظاهرة الاغتراب الاجتماعي عند شاعرات العصر الجاهلي, والدوافع التي ساهمت في نشأة الاغتراب عند شاعرات هذا العصر , وساعدت ظروف العصر الجاهلي على نشأة هذه الظاهرة عند كثير من شاعرات هذا العصر, فبثت الشَّاعرة معاني الأسى واللوعة والحزن من خلال ما تم دراسته من نماذج شعريَّة تكشف عن وجود الاغتراب بأبرز أنماطه في الشِّعر النِّسوي في العصر الجاهلي .

وبرز الاغتراب الاجتماعي بشكل كبير عانت منه الشَّاعرة الجاهلية؛ لكثرة أسباب نشأة هذا النمط من سوء الجوار, والظلم, وعقوق الوالدين, وسوء العلاقة بين الزوجين, وفي الجزء الأخير من هذا البحث تناولت الاغتراب الاجتماعي في الرثاء, حيث شكّل الفقد عاملًا قويًّا في نشأة الاغتراب .

2. **مشكلة الدراسة:**

تتمثل مشكلة الدراسة هذه الدراسة في التساؤلات التالية:

- ✓ ما هي الأسباب الدافعة للاغتراب الاجتماعي عند شواعر العصر الجاهلي؟
- ✓ ما هي أبرز مظاهر الاغتراب الاجتماعي عند شواعر العصر الجاهلي؟

3. **أهمية الدراسة :** تتجلى أهمية هذه الدراسة في أنها :

- ✓ تتناول ظاهرة الاغتراب الاجتماعي في العصر الجاهلي .
- ✓ تبيين أهم الأسباب الدافعة للاغتراب الاجتماعي عند شواعر العصر الجاهلي.

4. **أهداف الدراسة :** تستهدف الدراسة تحقيق ما يلي :

- ✓ بيان دوافع الاغتراب الاجتماعي في الشِّعر النِّسوي في العصر الجاهلي.
- ✓ تحليل أنماط الاغتراب الاجتماعي في الشِّعر النِّسوي في العصر الجاهلي.

5. **منهج الدراسة:** تعمد الدراسة إلى المنهج الوصفي التحليلي في رصد هذه الظاهرة الأدبية ورصد كافة أشكالها وعناصرها ضمن بيئة الدراسة.

6. **الدراسات السابقة:**

اعتمدت في هذه الدراسة على جملة من المصادر والمراجع المهمة وأبرزها, معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام لعبد مهنَّا, وشاعرات العرب في الجاهلية والإسلام لبشير يموت, وديوان الخنساء, وكتاب الرثاء في الشِّعر العربي لمحمود حسن أبو ناجي, وغيرها من الكتب والدراسات والأبحاث القيِّمة التي أغنت هذا البحث.

7. **الأسئلة التي ستجيب عنها الدراسة:**

- ✓ ما مظاهر الاغتراب الاجتماعي في الشِّعر النِّسوي في العصر الجاهلي؟
- ✓ ما هي الأسباب التي أدت إلى الاغتراب عند شواعر العصر الجاهلي؟

8. الاغتراب الاجتماعي في الشِّعر النِّسوي في العصر الجاهلي

" الاغتراب الاجتماعي هو حالة اجتماعية تسيطر على الفرد سيطرة تامة تجعله غريبًا وبعيدًا عن بعض نواحي واقعه الاجتماعي " [1], ويعني أيضا انفصال الفرد عن مجتمعه في جانب أو أكثر, ويتمثل ذلك بالانفصال والانعزال عن أبناء المجتمع, أو القيم السائدة فيه, ويرافق هذا الاغتراب مشاعر الألم والحسرة [2] .

وكان لهذا النمط مجموعة من العوامل التي تؤدي بالفرد إلى شعوره بالعزلة عن مجتمعه, ومن الناحية الاجتماعية في العصر الجاهلي فإنه يوجد عدد من القيم والعادات مُثلًا إيجابية, وكان الإخلال فيها تجاه الفرد يُشعره بالاغتراب, فحماية الجار قيمة اجتماعية تمثل مثار فخر واعتزاز عند المجيرين في المجتمع الجاهلي, فيتمتع المستجير بما يتمتع به أبناء القبلية من الأمن والحماية, والتقصير في حق الجار يشكل مثلبة اجتماعية تشعره بالاغتراب داخل المجتمع الذي يعيش في كنفه, ومن الأمثلة ما جاء في قول الشَّاعرة بسوس بنت منقذ التميميَّة[3]:

لَعمــرُكَ لــو أصــبحتُ فــي دار منقــذٍ لمــا ضــيمَ ســعدٌ وهــو جــارٌ لأبيــاتي

ولكننــي أصــبحتُ فــي دارِ غربــةٍ متـى يعــدُ فيهــا الــذئب يعــدُ علـى شــاتي

فيــا ســعدُ لا تغــرر بنفســكَ وارتحــل فإنــك فــي قــوم عــن الجــار أمــواتِ[4]

ودونــــك أذوادي فإنــــي عنــــهمُ لراحلةٌ لا يفقدوني بُنيَّاتي (5)

---

[1] - الشاذلي, مصطفى, ظاهرة الاغتراب في النقد العربي, د ن, ط1, 2009م,ص32 .

[2] - انظر: سلامي, سميرة, الاغتراب في الشِّعر العباسي في القرن الرابع الهجري, دار الينابيع, دمشق, ط1, 2000م, ص151 .

[3] - مهنَّا, عبد, معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام, دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, 1990م, ص 31 .

[4] - تغرر: تنخدع.

[5] - دونك : فعل أمر بمعنى خذ. أذواد: جمع الذَّودُ وتقال للقطيع من الإبل الثلاث إلى التسع.

فتمثل هذه الأبيات الحالة النفسية للشَّاعرة وإحساسها بالاغتراب جراء ما لحق بها من ضيم وظلم وهي مقيمة عند أهل جساس بن مرة, فأصبحت لشدة إحساسها بالاغتراب كأنها في منازل قوم لا يعرفونها حتى يجيروها, ولو أنَّها كانت كذلك لهان عليها شعورها بالاغتراب, لكن الذي زاد من قسوة هذا الشعور أنها بين أقاربها ولم يجيروها, ولعمق الشعور بالاغتراب والقهر النفسي لعدم حمايتها وجارها سعد تقول: "إنَّ الذئب إذا أراد أن يعدو باحثًا عن الطعام فتكون وجهته شاتها", ومن خلال هذا القول نستنتج أنَّ الشَّاعرة في حالة اغتراب شديدة بخوفها من عدم حمايتها من أشياء لم تقع بعد؛ لذلك أرادت الرحيل خوفًا من حصول مكروه وحتى لا يزداد شعورها بالاغتراب, وأنَّ عد الشعور بالأمان والخوف من الآخر, وغياب الحماية وقلة المجير في زمن الفوضى أحدث لديها غربة اجتماعية جعلتها تقرر الرحيل باحثةً عن الاستقرار النفسي والأمان الاجتماعي.

ومثله قول هند بنت النعمان تشكو الغربة الاجتماعية بسبب سوء الجوار والتخاذل في نصرة المظلوم [1]:

لـــم يبـــقَ فـــي كـــلِّ القبائـــلِ مطمـــعٌ لـــي فـــي الجـــوار فقتـــل نفســـي أعـــودُ[2]

مـــا كنـــتُ أحســـبُ والحـــوادثُ جمـــةٌ أنَّـــي أمـــوت ولـــم يَعُـــدني العُـــوَّدُ[3]

وغشـــيتُ كُـــلَّ العُـــرب حتـــى لـــم أجـــد ذا مِـــرَّةٍ حَسَـــنَ الحفيظـــةِ يوجـــدُ[4]

ورجعـــتُ فـــي إضـــمارِ نفســـي كـــي أمُـــت عـــــطشًا وجـــــوعًا حـــــرُّه يتوقـــــدُ

مُـــوتي بُعَيـــد أبيـــكِ كيـــفَ حياتُنـــا والمـــوتُ فهـــو لكـــلِّ حـــيٍّ مُرصـــد

(1) مهنَّا, عبد, معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام, ص261.

(2) أعود: أنفع.

(3) العُوَّدُ: الزُّوار.

(4) ذا مرةٍ: ذو قوةٍ وشدَّة .الحفيظة : الغضب لحرمة تنتهك من حرماتك أو جار ذي قرابة يظلم من ذويك أو عهد ينكث.

يـــا نفـــسُ مـــوتي حســـرةً واســـتيقني سيضـــمُّ جســـمَكِ بعـــد ذاك المُلحَـــدُ

يتضح الاغتراب في هذه الأبيات عند الشَّاعرة بشكل كبير, فهذه المصطلحات المذكورة في الأبيات من : (قتل, موت, حسرة, إضمار, الملحد) تعبر عن عمق شعورها بالاغتراب تجاه أبناء مجتمعها من العرب, ولشدة ما لاقته من سوء الجوار فضلت قتل نفسها, وهذا يعكس انعدام جميع الروابط التي تصل الفرد بمجتمعه, حتى أنها لم تجد أبسط هذه الروابط بشعورها بالأمان .

ويتضاعف الشعور بالاغتراب عندما ذهبت تطلب الحماية من جماعات من العرب ولم تجد من ينصرها ويحميها, فرجعت خائبة فاقدة للإحساس بالأمان ومشبعة بالإحساس بالاغتراب, والاغتراب عندها شعور مستمر فقد كتمت هذه الخيبة في نفسها وأضمرتها حتى أنها لم تجد من ينصرها بالكلام أو تبوح له بشرٍّ ما لاقته من سوء الجوار لتشعر باليأس وفقدان الأمل بعد ذلك وتستسلم للموت وليس أي موت بل الموت الذي يرافقه حسرة لخذلانها.

ومن أسباب الاغتراب الاجتماعي في العصر الجاهلي فقد الصفات الحميدة والمكارم الطيّبة التي تزول وتفقد بموت الشخص صاحب المكانة الرفيعة, فيصبح الأهل والمجتمع غرباء لا حيلة لهم للقيام بهذه الصفات وفي هذا ترثي الخنساء أخاها صخرًا, إذ تقول[1]:

يـــا عـــينِ جـــودي بالـــدّموع المســـــــــتهلاتِ الســـــــــوافح[2]

وابكـــي لصـــخرٍ إذ ثَـــوَى بـــين الضـــريحةِ والصـــفائح[3]

[1] - الخنساء, تماضر بنت عمرو بن الحارث, الديوان, تحقيق حمدُو طمَّاس, دار المعرفة, بيروت, ط2, 2004م, ص25-27.

[2] - المستهلات: المنهملات, من استهل الدمع إذا انهمل. السوافح: الدموع المرسلات.

[3] - ثوى : أي أقام . الضريحة: هي القبر. الصفائح : الحجارة العريضة الرقيقة التي تسقف بها القبور.

الحامـــلُ الثَّقَـــلَ المُهِـــمّ مـــــن المُلِمَّـــــاتِ الفـــــوادح[1]

ذاكَ الـــــذي كُنّـــــا بِـــــهِ نَشـــفي المِـــراضَ مـــن الجَـــوَانح[2]

فـــالآنَ نحـــنُ ومـــن سِـــوَانا مِثْـــــلُ أســـــنانِ القـــــوارح[3]

تمثل هذه الأبيات صدق العاطفة عند الشَّاعرة وإحساسها المأساوي بالاغتراب وقومها, وتشرح الشَّاعرة في هذه الأبيات ما حل بهم بعد فقد أخيها صخر, فأصبحوا بعده متفرقين يتحسرون على فقده وفقد الخير الذي زال وانقطع عنهم بموته, حيث أصبحوا بعده في حالة اغتراب نتيجة زوال هذه الشمائل الطيبة وعاجزين عن إصلاح أمور حياتهم, فالشَّاعرة تبكي الصفات الحميدة التي دفنت مع الفقيد وترثيها .

وكان عقوق الوالدين من الأسباب التي أدت أيضًا إلى الاغتراب عند شاعرات العصر الجاهلي, فينشأ عند الوالدين صدمة لهول هذا الأمر, فلا يتوقعون أن يكون نُكران المعروف من أقرب الناس لهم, ويزيدُ الابنُ العقوق من ضرب ومعاملة سيئة, وهذه الشَّاعرة أم ثواب الهزانية تشكو ألم الاغتراب بسبب عقوق ابنها, فتقول [4]:

ربَّيتُـــه وهـــو مثـــلُ الفَـــرخ أَعظُمُـــهُ أُمُّ الطعـــامِ تـــرى فـــي جلـــده زَغَبـــا[5]

حتـــى إذا آض كالفُحّـــال شـــذَّبَهُ أَبَّـــارُهُ ونفـــى عـــن متنـــه الكربـــا[6]

[1] - الملمات: المصائب. الفوادح: جمع فادحة وهي الثقيلة .

[2] - الجوانح: جمع جانحة, وهي الأضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر.

[3] - القوارح: جمع قارحة, وهي التي شق نابها ثم طلع .

[4] - المرزوقي, أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن, شرح ديوان الحماسة لأبي تمام, دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, 2003م, ص537-538 .

[5] - الزغب: الشعيرات الصفر على ريش الفرخ .

[6] - آض: تحول . الفحال: ذكر النخل. شذَّب: قشَّر .أبَّار: من يلقح النخل. الكَرَبُ: الأصل العريض للنخل إذا يبس.

أَنشـــأ يُمـــزِّقُ أثـــوابي ويضـــربني أبعـــدَ شـــيبيَ عنـــدي يبتغـــي الأدبـــا؟

إنّـــي لأبصـــرُ فـــي ترجيـــل لمَّتـــه وخـــطِّ لحيتـــه فـــي وجهـــه عجبـــا

تمثل هذه الأبيات خيبة الأمل الكبيرة عند الأم التي كانت تأمل وتمني النفس أن تلقى الرعاية والاهتمام في كبرها من قبل ابنها, لكنها قوبلت بالحنان عقوقًا وقسوة, فأقرب الناس لها ومن ضحت لأجله وتعبت في تربيته يعاملها معاملة سيئة, فانكسارها في موضع اهتمامها عمَّق شعورها بالاغتراب .

وفي ظل العلاقات الأسرية القوية يشعر الفرد بالاغتراب إذا وجد سوء المعاملة وعدم التقدير والمراعاة له, وعانت هذه الشَّاعرة أيضًا من المعاملة السيئة من قبل زوجة ابنها, تقول[1]:

قالـــت لـــهُ عرسُـــهُ يومًـــا لتُســـمِعَني رفقًـــا فـــإنَّ لنـــا فـــي أُمِّنـــا أَرَبـــا[2]

ولـــو رأتنـــي فـــي نـــارٍ مُسَـــعرَّةٍ ثـــم اســـتطاعت لـــزادت فوقَهـــا حطَبـــا[3]

فتعكس هذه الأبيات الشعور بالحزن والأسى عند الأم الشَّاعرة لما تلاقيه من حقد وكره من زوجة الابن ليتعمق الشعور بالاغتراب بعد عقوق ابنها لها.

ويعد إجبار الفتاة على الزواج وإرغامها عليه من الأسباب التي أوجدت الاغتراب الاجتماعي عند الشَّاعرة الجاهلية, ويظهر هذا عند سعدى الأسدية, حينما رفض أبوها زواجها من ابن عمها وزوجها رجلًا آخر[4],فقالت تشكو هذا الأمر لابن عمها[5]:

حبيبـــيَ لا تعجـــل لـــتفهمَ حُجَّتـــي كفـــاني مـــا بـــي مـــن بـــلاءٍ ومـــن جهـــد[1]

[1] - المرزوقي, أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن, شرح ديوان الحماسة لأبي تمام, ص538.

[2] - الأَرَب: الحاجة الشديدة

[3] - مسعرة: مشتعلة.

[4] - يموت, بشير, شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام, المكتبة الأهلية, بيروت, ط1, 1934م, ص91 .

[5] - يموت, بشير, شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام, ص 91 .

ومـــــن عبـــــراتٍ تعترينـــــي وزفـــــرةٍ تكـــادُ لهـــا نفســـي تســـيلُ مـــن الوجـــدِ[2]

غُلبـــت علـــى نفســـي جهـــارًا ولـــم أُطِـــق خلافًـــــا علـــــى أهلـــــي بهـــــزلٍ ولا جـــــدِّ

ولـــــن يمنعـــــوني أن أمـــــوت بـــــزعمهم غـــدًا خـــوف هـــذا العـــار فـــي جـــدث وحـــدي[3]

فـــلا تـــنسَ أن تـــأتي هنـــاك فتلـــتمس مكـــاني فنشـــكو مـــا تحمَّلـــت مـــن جهـــدِ

والملاحظ من خلال الأبيات حجم الأسى الواقع في نفس الشَّاعرة, فإجبارها على الزواج وهي غير راغبة أحدث في نفسها فجوة من الحزن ساعدت على تشكُّل مشاعر الاغتراب, فتشكو ضعف حيلتها أمام قرار أبيها, ولا تملك إلا الخضوع للواقع, كما عبرت عن حالتها النفسيَّة السيِّئة وما آل إليها حالها بعد هذا الزواج, فأصبحت كثيرة الهم والبكاء, ولم تتحمل الشَّاعرة ما حصل لها حتى فارقت الحياة, فجاءها ابن عمها في الموعد فوجدها متوفية[4].

ومن مظاهر الاغتراب الاجتماعي أيضًا سوء العلاقة بين الزوجين كما نجد ذلك في قول أم الصريح الكندية [5]:

كـــأنَّ الـــدارَ يـــوم تكـــون فيهـــا علينـــا حفـــرةً مُلِئـــت دخانـــا

فليتـــك فـــي ســـفين بنـــي عبـــاد طريـــدًا لا نـــراك ولا ترانـــا

---

[1] - جهد: تعب.

[2] - زفرة: التنفس الذي فيه آهات وحرارة. الوجد: الحزن

[3] - الجدث: القبر.

[4] - يموت, بشير, شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام, ص91.

[5] - ابن طيفور, أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر, (ت280هـ), بلاغات النساء, مطبعة والدة عباس الأول, القاهرة, د ط, 1908م, ص118 .

وليتـــك غائـــبٌ بالهنـــدِ عنَّـــا وليـــت لنـــا صـــديقًا فاقتنانـــا

ولـــو أنَّ النـــذور تكـــفّ منـــه لقـــد أهـــديتُها مئـــةً هجانـــا[1]

يتضح في هذه الأبيات مدى نفور الشَّاعرة من العلاقة الزوجية, فالاختلاف والاضطراب في العلاقة وما تلاقيه الزوجة من زوجها من معاملة سيئة جعلها تشبه البيت أثناء وجوده بالحفرة المليئة بالدخان لثقله عليها ونفورها منه, وتتمنى غيابه وعدم رؤيته ولو أنَّ لها زوجًا غيره, فتكشف أمنيات الشَّاعرة عن تعمق مشاعر الاغتراب وفقدان الذات فهي لم تجد نفسها مع هذا الزوج.

ومن أبرز الأسباب الاغتراب عند شاعرات العصر الجاهلي هو فقد الأحبة من: أب, أو زوج, أو أخ, أو ابن, فأوقع هذا الأمر الألم والحزن في أنفسهن, وقد عبرت الشَّاعرة الجاهلية عن فداحة الخطب بالفقد وما يحدثه من آثار اجتماعية مؤلمة قاسية على القبيلة والأفراد والقيم الاجتماعية الأصيلة التي كانت تفقد بفقد من تفقده عشيرته أو تناله يد المنون, وقد تجلى هذا النمط الاغترابي في رثاء ذويهن من آباء وأبناء وأزواج وإخوة. ووجدت الشَّاعرة المتنفس للوعتها في الشِّعر وعبرت من خلاله عن اغترابها ومعاناتها الصادقة.

الاغتراب في رثاء الأبناء:

إنَّ حب الأم لابنها لا يعلوه حب آخر, "والأم تحب ابنها بالفطرة وتحبه لذاته حبًا صادقًا يعتبر المثل الأعلى للحب الإنساني كله", وفي ظل الظروف التي كانت سائدة في العصر الجاهلي من حروب وصراعات, تستند الأم على ابنها كثيرًا لحمايتها وتدبير أمور معيشتها, وعند فقده تشعر بالحزن والانكسار؛ لأنها خسرت أملها في الحياة, ويضيق بها الأمر فترى أنَّ حياتها انتهت بفقده, وهذا ما يظهر في قول أعرابية بعد موت ابنها, إذ تقول[2]:

يـــا قرحـــة القلـــبِ والأحشـــاء والكبـــد يـــا ليـــتَ أمّـــك لـــم تحبـــل ولـــم تَلِـــدِ

[1] - الهجان: الأبل البيض الكرام .

[2] - الهاشمي, علي, المرأة في الشِّعر الجاهلي, مطبعة المعارف, بغداد, د ط, 1960م, ص186.

لَّمـــا رأيتـــك قـــد أُدرجـــتَ فـــي كفـــنٍ مُطيبًّـــــا للمنايـــــا آخـــــر الأبـــــدِ

أيقنـــتُ بعـــدك أنَّـــي غيـــرُ باقيـــةٍ وكيـــف يبقـــى ذراعٌ زال عـــن عضُـــدِ[1]

إنَّ فقد الأم لابنها جعلها تتمنى أنَّها لم تولد ولم تلد, فقد أحسَّت بالفراغ الكبير بينها وبين المجتمع فغاب عنها السَّند, وشبهت ابنها بالعُضد وهو الأساس للذراع والمراد من هذا أنَّ لا حياة لها بدونه, فيتضح من هذا أنَّ الشَّاعرة تعاني قسوة الفقد وتعيش في اغتراب شديد.

وتعجز الأم عن استيعاب موت الابن فتتمنى فداءه, وبذلك رثت الشَّاعرة السلكة أم السّليك* [2] ابنها, فقالت[3]:

طـــاف يبغـــي نجـــوةً مـــن هـــلاكٍ فهلـــك

ليـــت شـــعري ضـــلّةً أيُّ شـــيءٍ قتلـــك

أمـــريضٌ لـــم تُعـــد أم عـــدوٌ ختلـــك

ليـــتَ نفســـي قُـــدِّمت للمنايـــــا بَـــــدَلك

تمثل الأبيات حجم الأسى في نفس الشَّاعرة بسبب فقد ابنها الذي خرج يبحث عن النجاة والحياة هاربًا من الفقر ولكنه قتل, فكان الابن هو المعيل لأمه على قسوة الفقر وبفقده انقطع مصدر معيشتها, ولولا إحساس

---

[1] - العضد: ما بين المرفق إلى الكتف.

*

[2] - السلكة أم السليك : هي أمة سوداء اسمها (السَّلكة) كان ابنها السُّليك أحد صعاليك العرب العدائين. ينظر مطاع صفدي, إيليا حاوي, موسوعة الشِّعر العربي, شركة خيّاط للكتب والنشر, بيروت, د ط. مجلد 4, ص271.

[3] - مطاع صفدي, إيليا حاوي, موسوعة الشِّعر العربي, ص272-273 .

الشَّاعرة بالاغتراب والانقطاع عن المجتمع لما تمنت أن تقدِّم نفسها للموت مكانه, فنقطة الربط والاتصال بينها وبين المجتمع تمثَّلت بابنها وبوفاته انقطع الاتصال بالمجتمع, فلو كانت تجد ما يسليها ويخفف عنها معاناتها بسبب موت ابنها من بيئة اجتماعية طيبة لما تمنت أن تفدي ابنها, فالموت أمر عظيم لا يستهان به ولا يتمنى شخصٌ ذلك إلا لانقطاعه عن ذاته وغياب مصدر سعادته فيرى أن حياته لا معنى لها فيفضل الموت وهذا ما حصل مع الشَّاعرة.

الاغتراب في رثاء الإخوة:

وعندما يحمل الأخ عدد من الصفات الطَّيِّبة يشكل درعا وسندا لأهله وقبيلته, وبفقده تزول هذه المكارم فيشعر من حوله بالاغتراب, و"الأخ عزيز على الأنفس فقد تجلى الرثاء في عدة صور حزينة فهو تارة سند للعشيرة, وتارة مثل أعلى في الكرم والنجدة, وتارة بطل في الميدان, وتارة حامٍ للذمار والشرف"[1] ، وعانت المرأة في العصر الجاهلي من فقد الإخوة وعبرت عن حجم المعاناة التي تحل بهم بفقده.

وأحسَّت الشَّاعرة أسماء أخت كُليب بالاغتراب بعد فقد أخيها فقالت في رثا [2]:

صـــرت فـــي لجّـــة بحـــرٍ زاخـــرٍ صـــاعدٍ طـــورًا وطـــورًا ينـــزلِ[3]

ليتنـــي مـــا عشـــتُ يومًـــا بعـــدُهُ ليتنـــي قـــرّب مـــوتي أجلـــي

أســـلبوا عقلـــي وروحـــي بعـــده فهمـــومي بعـــده لا تنجلـــي

لا صـــفا عـــيشٌ وقـــد غـــاب فتـــىً ليـــت نفســـي خرجـــت مـــن هيكلـــي

---

[1] - أبو ناجي, محمود حسن, الرثاء في الشِّعر العربي, دار مكتبة الحياة, لبنان, ط1, 1981م, ص47.

[2] - اليسوعي, لويس شيخو, رياض الأدب في مراثي شواعر العرب, المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين, بيروت, د ط, ج1, 1897م, ص 7.

[3] - لجة: تردُّد أمواج البحر وتلاطمها.

مـــن يبلّغنـــي الحمـــى مـــن بعـــده مـــــن يبلّغنـــــي رفيـــــعَ المنـــــزلِ

نلحظ من خلال الأبيات السابقة الحزن الواقع في نفس الشَّاعرة لفقد أخيها كليب, إذ أدى موته إلى شعورها بالاغتراب لفقدها الشخص المنقذ والحامي لها فقد عاشت عزيزة رفيعة في وجوده, وبين أبناء قبيلتها وصل إحساسها بالاغتراب بتمنيها مفارقة الحياة, فكثرت همومها من بعده ولا تهنأ بعيش ولا تجد من تحتمي به بعد موته, ويظهر اغترابها عن مجتمعها بارتباطها بالفقيد أكثر من ارتباطها بالأحياء من أهلها وأبناء مجتمعها.

وتشعر المرأة بالضياع بسبب عمق المصيبة عندها, فتتمنى أن تفدي الفقيد بأهلها ونفسها ونلمس هذا الإحساس في قول الشَّاعرة أم عمرو بن المكدم[1]:

مـــا بـــالُ عينـــاك منهـــا الـــدمعُ مُهـــراقُ ســـــحًا فـــــلا عـــــازبٌ عنهـــــا ولا راقـــي [2]

أبكـــي علـــى هالـــكٍ أودى فـــأورثني بعـــــد التفُّـــــرق حُزنًـــــا حَـــــرُّه بـــــاقي

لـــو كـــان يُرجـــعُ ميتًـــا وجـــدُ مشـــفقةٍ أبقـــى أخـــي ســـــالمًا وجـــدي وإشـــفاقي[3]

أو كـــان يُفـــدى لكـــان الأهـــلُ كلُّهُـــمُ ومـــــا أُثمِّـــــرُ مـــــن مـــــالٍ لـــــه واقِ[4]

يتضح من الأبيات حسرة الشَّاعرة على فقد أخيها, فهي تمني النفس إرجاعه للحياة بأي ثمن حتى لو كان الأهل فداءً لإرجاعه, فعامل الاغتراب الاجتماعي هنا دفع الشَّاعرة لصياغة هذه الأبيات, وتقدم الأهل فداءً للفرد الذي كانت بوجوده تشعر بالأمان.

---

[1] - القالي, أبو علي إسماعيل بن القاسم, ذيل الأمالي والنوادر, المطبعة الكبرى الأميرية, ط1, 1324هـ, ص13 .

[2] - مهراق: منسكب. سحًّا: منصب من الأعلى . عازب : مُبعِد.

[3] - مشفقة, عاطفة على حالها.

[4] - أثمر: أكْثِرَ.

الاغتراب في رثاء الأزواج:

"يعد رثاء الأزواج رثاءً خاصًا؛ لأنه يرثي عزيزًا على نفس الإنسان, ورثاء الزوج من جانب الزوجة دليل على الوفاء لأيام جمعت الشريكين"[1], وتعتبر الزوجة زوجها الملاذ الآمن وتجد عنده السكن والطمأنينة وبغيابه تفقد هذا الشعور, وفي هذا المعنى (الاغتراب الاجتماعي بسبب الفقد) ترثي جليلة بنت مرة *زوجها كليب, تقول[2]:

جـلَّ عنـدي فعـلُ جسـاسٍ فيـا حسـرتي عمَّـا انجلـى أو ينجلـي[3]

فعـلُ جسـاسٍ علـى وجـدي بـه قـاطعٌ ظهـري ومـدنٍ أجلـي

يـا قتـيلاً قـوَّض الـدهرُ بـه سـقَف بيتـي جميعًـا مـن عـل[4]

هـدمَ البيـتَ الـذي اسـتحدثتُهُ وانثنـى فـي هـدمِ بيتـي الأوَّلِ

يشـتفي المُـدرِكُ بالثـأرِ وفـي دركـي ثـأري ثُكـلُ المثكـلِ[5]

ليتَـه كـان دمـي فـاحتلبوا دِرَرًا منـه دمـي مـن أكحـل[6]

فأنـا قاتلـةٌ مقتولـةٌ ولعـلَّ الله أن ينظـر لـي

---

[1] - أبو ناجي, محمود حسن, الرثاء في الشِّعر العربي, ص78.

[2] - أبو ناجي, محمود حسن, الرثاء في الشِّعر العربي, ص102-104 .

[3] - جلَّ عندي: صعب علي. انجلى : انكشف.

[4] - قوَّض : هدم .

[5] - المدرك: صاحب الثأر . ثكل : فقد الحبيب.

[6] - الأكحل: عرق في الذراع يفصد.

ينكشف حس الاغتراب الاجتماعي عند الشَّاعرة بدايةً من قتل زوجها الذي كان يشكِّل لها الحياة, والذي يعظم هذا الشعور أنَّ القاتل هو أخوها, فهي واقعة بين أمرين عظيمين فالأمر الذي قد انجلى هو قتل زوجها الذي أوقع في نفسها الحسرة والألم, والأمر القادم هو ما سيقع عليها من مرارة العيش بعده .

فالشَّاعرة لا تدري على ماذا تحزن وتتحسر أعلى الذي مضى أم ما هو قادم من شر وويلات ستوقع في قلبها الأسى والحزن ويصبح الفقيد الأهل كلهم فثأرها هو قتل الحبيب(أخوها جساس), فأصبحت تعيش مشاعر الأسى والحزن قبل أوانها تترقب من ستبكي من أهلها؛ فتتمنى لو أنَّ الثأر يطلب منها لترتاح, فهي ليست بحاجة إلى مزيد من الاغتراب بعد فقد زوجها الذي ترك وراءه فجوة عميقة من الحزن والأسى في نفس الشَّاعرة ولا تستطيع تجاوزها .

وحين تفقد المرأة زوجها ينعدم الإحساس بالأمان والسكينة في مجتمع لا يسوده الأمان ولا يوجد ما يعوضها عن ذلك الإحساس, وفي هذا ترثي الشَّاعرة زهراء الكلابية زوجها, تقول [1]:

تأوَّهـــت مـــن ذكـــرى ابـــن عمِّـــي ودونـــه نقًـــا هائـــلٌ جعـــدُ الثـــرى وصـــفيح[2]

وكنـــت أَنـــامُ الليـــل مـــن ثقتـــي بـــه وأعلـــم أن لا ضـــيمَ وهـــو صـــحيحُ

فأصـــبحتُ ســـالمتُ العـــدو ولـــم أجـــد مـــن السِّـــلم بُـــدًّا والفـــؤاد جـــريحُ[3]

يتضح من الأبيات حرارة الفقد التي أصابت الشَّاعرة, فتقارن بين حالها قبل فقد زوجها وبعد فقده, حيث كانت تنعم وتهنأ في حياة كريمة لا يمسها الظلم والضيم وبعد موته أصبحت غريبة لا تأمن نفسها من الأعداء .

الاغتراب في رثاء الآباء:

[1] - اليسوعي, لويس شيخو, رياض الأدب في مراثي شواعر العرب, ص 131.

[2] - تأوه : تحسر. نقًا : قطعة من الرمل. هائل: منصبٌ. جعد الثرى: تراب ندي ومبلل. الصفيح: الحجر

[3] - سالمت: مصالحة العدو.

"تواجه الإنسان في حياته صدمات شتى تسبب له الحزن والأسى, وأعظم تلك الصدمات فراق الأحبة, وأشدُّ الفراق إيلاما ما كان سببه الموت, مما يفجر عاطفة الحزن في النفس الإنسانية"[1]. والأب هو عماد المنزل والخيمة التي تحتوي الأسرة وموته هو كارثة تحل بالأهل, وأكثرت الشاعرات في العصر الجاهلي من رثاء الآباء, وهذا يدل على حجم مكانة الأب والدور الكبير الذي يقوم به وأهمية وجوده في حياة أبنائه .

وعندما يكون الأب رمزًا للصفات والأفعال الطيبة, يشكِّل فقده فاجعة بالنسبة للأهل, وهذه الشَّاعرة سليمى بنت المهلهل تعبر في رثاء أبيها عن حجم الفقد والفراغ بعد موته, تقول[2]:

مُنِـــعَ الرقـــادُ لحـــادثٍ أضـــناني وونـــى العـــزاءُ فعـــادني أحزانـــي[3]

لمـــا ســـمعتُ بنعـــي فـــارس تغلـــبٍ أعنـــي مهلهـــل قاتـــل الأحـــزان

جزعًـــا عليـــه وحـــقَّ ذاك لمثلـــه كهـــف اللهيـــفِ وغـــيثةِ اللهفـــان[4]

والمرتجـــى عنـــد الشـــدائدِ إن غـــدا دهـــرٌ حـــرونٌ معضـــلُ الحـــدثان[5]

يتضح معاناة الشَّاعرة بفقد أبيها ولشدَّة هذا الفقد توالت عليها الأحزان, وتبين الشَّاعرة ما يتمتع به الفقيد من صفات ومكارم ستنقطع بفقده وهذا ما يعمق من الاغتراب.

الاغتراب في رثاء القبيلة:

[1] - زنجير, محمد رفعت أحمد, التشبيه في مختارات البارودي دراسة تحليلية, رسالة دكتوراه, جامعة أم القرى,1995م, ص241.

[2] - اليسوعي, لويس شيخو, رياض الأدب في مراثي شواعر العرب, ص18.

[3] - الرقاد : النوم الطويل.

[4] - اللهيف : المظلوم المستغيث.

[5] - حرون: عنيد . معضل: صعب غير قابل للحل. الحدثان : المصائب.

تعد القبيلة في العصر الجاهلي المجتمع الأول لأفرادها, حيث تشكل درع الحماية لهم وتوفر لهم الحياة الآمنة, وبفقد القبيلة أو فرسانها ينعدم الأمن والاستقرار, وهذه الشَّاعرة فاطمة بنت الأجحم الخزاعية أحسَّت بالاغتراب الاجتماعي ومرارة العيش لفقد قومها, فقالت تبكيهم[1]:

يـــا عـــينُ بكِّـــي عنـــد كـــل صـــباحِ جـــودي بأربعـــةٍ علـــى الجـــرَّاحِ[2]

قـــد كنـــتَ لـــي جـــبلًا ألـــوذ بظِلـــه فتركتنـــي أمشـــي بـــأجرد ضـــاحِ[3]

قـــد كنـــتُ ذات حميـــةٍ مـــا عشـــت لـــي أمشـــي البـــراز وكنـــت أنـــت جنـــاحي

فـــاليومُ اخضـــعُ للـــذليل وأتَّقـــي منـــه وأدفـــعُ ظـــالمي بـــالراحِ

وأغـــض مـــن بصـــري وأعلـــم أنـــه قـــد بـــان حـــدُّ فوارســـي ورمـــاحي

تمثل الأبيات مدى الحزن الواقع في نفس الشَّاعرة, وتبكي ما فقدت من قومها وهذا البكاء الشديد يدل على حجم الفراغ الكبير والمعاناة التي ستعيشها بعد فقدهم, فقد فقدت السَّند الذي تركن إليه وتحتمي به, وأصبحت تائهة معزولة بعد أن كانت صاحبة عزة وأنفة, فتغير عليها الحال حتى صارت تتقي شر من هم أدنى منزلة منها ومن قومها.

9. الخاتمة:

نجمل هنا أبرز النتائج التي انتهت إليها الدراسة:

[1] - اليسوعي, لويس شيخو, رياض الأدب في مراثي شواعر العرب,ص66-67.

[2] - تريد بالأربعة : اللحاظين والموقين للعينين فإن الدمع يجري مع الموقين فإذا غلب وكثر جرى من اللّحاظين أيضًا.

[3] - أجرد : مكان لا نبات فيه

- ✓ أبرز الأسباب التي أدت إلى الاغتراب الاجتماعي عند الشَّاعرة الجاهلية : سوء الجوار ، الظلم ، عقوق الوالدين ،سوء العلاقة الزوجية، وفقد الأحبة.
- ✓ فقد الأحبة كان أكثر الأسباب التي ساهمت في نشأة الاغتراب الاجتماعي عند الشَّاعرة الجاهلية لمكانة الرجل المهمة في حياتها.
- ✓ تأثير ظاهرة الاغتراب الاجتماعي على الألفاظ الشعرية ؛ حيث جاءت مليئة باللوعة والحزن .
- ✓ عبرت الشَّاعرة الجاهلية من خلال الشعر عن حجم الاغتراب الذي عانت منه.

10. المصادروالمراجع:

الأندلسي, أحمد بن عبد ربه ,(ت328ه),(1983م) **العقد الفريد**, تحقيق عبد المجيد الترحيني, دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, ج3.

الخنساء, (2004),**الديوان**, شرح حمدو طماس, دار المعرفة,بيروت, ط2.

سلامي, سميرة, (2000), **الاغتراب في الشِّعر العباسي في القرن الرابع الهجري**, دار الينابيع, دمشق.

الشاذلي, مصطفى,(2009), **ظاهرة الاغتراب في النقد العربي**, ط1.

ابن طيفور, أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر, (ت280ه), (1908م), **بلاغات النساء**, مطبعة والدة عباس الأول ,القاهرة.

القالي, أبو علي إسماعيل بن القاسم,(1342ه), **ذيل الأمالي والنوادر**, المطبعة الكبرى الأميرية ,ط1.

المرزوقي, أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن,(2003م) **شرح ديوان الحماسة لأبي تمام**, دار الكتب العلمية, بيروت, ط1.

مهنَّا, عبد,(1990), **معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام**, دار الكتب العلمية, بيروت, ط1.

أبو ناجي, محمود حسن,(1981), **الرثاء في الشِّعر العربي**, دار مكتبة الحياة, لبنان, ط1.

الهاشمي, علي, (1960), **المرأة في الشِّعر الجاهلي**, مطبعة المعارف, بغداد.

اليسوعي, لويس شيخو, (1897م), **رياض الأدب في مراثي شواعر العرب**, المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين, بيروت, د ط.

يموت, بشير, (1934), **شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام**, المكتبة الأهلية, بيروت, ط1.

الرسائل الجامعية :

زنجير, محمد رفعت,(1995) **التشبيه في مختارات البارودي دراسة تحليلية**, رسالة دكتوراه, جامعة أم القرى.